

كلمة العدد

# مكة المكرمة

خصوصية المكان وخصوصية المكافاة

بقلم سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

تنفرد أكرم وأشرف وأطهر وأعظم بقعة على وجه الأرض بخصوصية المكان والمكانة . . فمنذ أن عطرت ثراها أقدام أبو الأنبياء وهي مقصد الجميع وقبلة الجميع وملتقى الجميع من كل أرجاء الأرض . . منها تنطلق رحلة الشتاء ورحلة الصيف . . وفي رحابها تُلقى القوافل العابرة والقادمة، أو الذاهبة لكل أرجاء العالم المعمور رحالها تبيع وتشتري وتحكي . فلما انطلقت من رحابها بعثة خاتم الرسل والأنبياء، أصبحت قبلة الأرض . . إليها تهفو قلوب الملايين المنتشرين في كل مكان من العالم . . وإليها ترنو أبصارهم وأرواحهم وأحلامهم وآمالهم . . ويشد الرحال إليها العلماء من كل جنس ولون . . ينقلون إليها معارفهم

وينقلون منها معارف إخوانهم في مهرجان دائم ومتجدد ومتواصل للثقافة والمعرفة .

فخصوصية المكان جعلتها ملتقى الجميع في العالم القديم . .  
وخصوصية المكان جعلتها وتجعلها إلى أن يشاء الله قبلة الجميع في الحاضر والمستقبل .

وليس هناك في الماضي عالم لم يجاور في البيت عاماً أو عامين أو أقل أو أكثر أو يقضي خاتمة عمره إلى جانب البيت العتيق . والغادون والرائحون لم يكونوا مجرد عابرين يملأون آنيتهم من ماء زمزم المبارك . . وإنما كانوا قصّاداً للمكان الطاهر يأملون أن ينالوا رضى الله بمجاورته . . ينقلون إليه ما يعرفونه وينقلون منه ما يجهلونه . .

هذه الظاهرة جعلت من مكة مكاناً متفرداً ليس له مثيل في العالم كله فليس في العالم قديمه وحديثه مدينة يقصدها عشرات الملايين من كل جنس ولون ومكان . . وليس هناك في العالم قديمه وحديثه مدينة كتب تاريخها خالق الكون والإنسان . . فتاريخها موثق منذ أن أقام إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت - وهو توثيق متواتر ومتصل - ذلك أن علماء المسلمين من الشرق والغرب مروا من هناك، أو أقاموا هناك وكتبوا وسجلوا . .

مكة المكرمة إذن هي أم القرى بكل المقاييس . . وإذا كانت المنظمة الإسلامية للثقافة والتربية والعلوم قد اختارتها كأول مدينة إسلامية عاصمة للثقافة . . فذلك إنما يأتي من قبيل تقرير الواقع . . فبجوار البيت العتيق التقى منذ القدم العلماء من كل مكان . . تبادلوا الفكر والرأي . . قدموا نظرياتهم وأخذوا نظريات غيرهم . . والقادمون من كل مكان إنما هم جزء من ثقافته . . لغته . . عاداته وتقاليده . . وأفكاره

. . نظام حياته . . علومه وآدابه . . كل ذلك يأتي في رحال القادمين من كل مكان وهم يلتقون بإخوانهم القادمين من مختلف الأمكنة لقاء حب ولقاء أخوة ولقاء أشقاء في عقيدة واحدة . . جاءوا يقيمون شعائر واحدة . . فالقلوب والحالة كذلك مفتوحة، والعقول مفتوحة، والتبادل مطلوب ومرغوب ومحبوب .

من هنا فأن أثر مكة المكرمة في الحياة العقلية للأمم كبير وملمس . . فليس هناك من علماء المسلمين من لم يتأثر بالحركة الثقافية في مكة ثم هو بعد ذلك متأثر ومؤثر . . والحديث عن مكة المكرمة حديث يطول نظراً لهذه الخصوصية وارتباطها بالحركة الثقافية الإسلامية ليس مقصوراً على علوم الدين فقط . وإنما ارتباطها بالحركة العلمية والثقافية العالمية كبير وعميق . . فليس كل القادمين من المسلمين من علماء الدين وإنما منهم العلماء في كل فروع العلم . . والمثقفين في كل أركان الثقافة . . وإذا كان [ ١٤٢٦ هـ ] سوف يشهد مهرجاناً ثقافياً لأُم القرى فلاشك أن ما يمكن أن يقدم في هذا المهرجان شيء كثير وهام . . لارتباط تاريخها بتاريخ العرب وتاريخ الإسلام عبر الكثير من الحقب والعصور .

عبد الله بن خالد آل خليفة